



الشيخ اللويسي كان
والناس في «حيفا» وقصاها بعرفوه،
درويش عاباب الله كل يوم يشوفوه،
بلفه، وتوب مرفع، وجبه
والوسخ حُمَل الكف ع القبه،
ومسبحة يسر برقتو،
حياتها سود بعدد
أسماء مولانا الصمد،
وبأيدو مُحجانه،
وجبابو خبز وتمر مليانه،
ماشي حفا بحيفا
بلحظه يكون ع الشط،
فوق «ببور القطن»
وبعد لحظه تشوفو في «المينا»،
وبعد لحظه يطير،
«للسعادة...»
«للعزيبه...»
ومن «عمود فيصل»
«للجربينه»
«ساحة الحناطير»!^(٢)

❖ ❖

والناس كانوا يسموه،
وبمازحوه،
ومرات كانوا يزودوها،
ويزرعلوه،
تايصير يحكي رموز ويردد:
«يلعن أبو الحكي وأبو الما يحكي.»

❖ ❖

ومن كثر ما الشيخ اللويسي كان
سايح بحب الله،
إناس قالوا عنو
إنو كان ولي،
يكاشف،
ويتأصر^(٤)
والناس ما نسيوا لحد اليوم،
يوم كشف في حيفا عن حيه،
مقرصه بلبنات فلاحه
جايي تبيع اللبن في الساحة،
وهي الحرمة مارقه جنبو
وحامله دست اللبن
قللا: استني شوي يا حرمة!
وقام، وأخذ دست اللبن عن رأسها
ولأ شور ولا دستور،
كَب
كَب اللبن في الساحة
ساح اللبن أصفرب لون السم
وقبل ما الحيه تخش الحيه،
وتبلس تفاعي،^(٥)
اللويسي تعود وسمى وشرب جفمة مي
ورفع صوتو وصاح: يا رفاعي!^(٦)
وراح داشع دوز ع الحيه^(٧)
ونادى عليها:
«وين يا سعدى؟»^(٨)
وينك ي قراره؟!
إرجعي من الحاره!
جالك أبو جعده^(٩)

الشيخ اللويسي^(١)

. سمود الأسدي .

- ١ - اسمه محمد. وقد ورد ذكره في الجزء الأول ص ٣٦١ من كتاب طبقات الانبياء والأولياء والصالحين في الأرض المقدسة مؤلفه د شكري عزاف بقوله: «قضى معظم حياته في حيفا، على النشاط فوق بابور القطن. كان كاشفاً يُعرف السارقين ويُشعبهم من مهناتهم كشف عن أفعى في قدر نير كانت إحدى اللنانات تحمله ذفن في النيامين، وفي موضع آخر يقول إن عقابه في صفورية»
- ٢ - السعادة. شرق حيفا، والعزيبه: غربها
- ٣ - سما. أكلتة في حيفا
- ٤ - يتأصر: يصيب شئ يسبه أو يتجاوز عليه بدى أو عكروه، وذلك لكرامته عند ربه
- ٥ - تفاعي. تظهر سوا خلقها الاقعواني
- ٦ - الرفاعي هو الشيخ أحمد الرفاعي. كان متصوفاً وذا طريقة عرفت باسمه (الرفاعية). ومن يشرب على كيبس الرفاعي لا يؤذ سنة الأفاعي
- ٧ - داشع دوز. هاجماً رأساً
- ٨ - سعدى من أسماء التحيات
- ٩ - بو جعده: كية الذئب

يَعْمَلُكَ زِيَارَهُ، تَعَيَّدَ بِحَيْفَا؟ !
وَبِرْقَصِكَ عَ الدَّفِّ وَالطَّارِهِ. «
وَالْحَيَّةَ رَجَعَتْ بِإِشَارَةِ إِصْبَعُو
وَزَحَفَتْ لَعْنَدَ اجْرِيهِ وَرَفَعَتْ رَاسَهَا
هَدَّ وَلَقَطَهَا وَلَفَّهَا عَارَقْتُو
حَيَّهَ جَدْرًا طَوَّلَ غَمَّارَهُ (١)
وَالنَّاسَ لَمَّا شَافُوا هَذَا الشَّوْفِهِ
تَعَجَّبُوا وَقَالُوا:
«هَذَا الشَّخِصُ مَبْرُوكٌ.»
وَالْحَرَمِهِ أَخَذَتْ إِيدُو بَاسْتَهَا،
وَلَمَّا رَمَى لَهَا الْحَيَّةَ دَاسْتَهَا،
وَشُكَّرْتُو وَقَالَتْ:
«سَلَّمْتَنِي يَا شَيْخَ، اللَّهُ يَسَلِّمَكَ!
وَبِحَاجِهِ سَيِّدِي الْخَضِرِ رَبِّي يَكْرَمَكَ!»
❖ ❖
وَحِكَايَةُ الْحَيَّةِ انْتَشَرَتْ فِي الْبَلَدِ،
وَالنَّاسُ مِنْ كَهْلٍ وَوَلَدٍ
قَالُوا: «اللُّوَيْسِيُّ شَيْخٌ سَرُوءٌ كَبِيرٌ.»
❖ ❖
وَحِكَايَةُ مَبَارِحٍ
لَمَّا بَقِيَ بِأَرْضِ الْوَعْرِ سَارِحٍ
بِكَلِمِهِ زَعِيرُهُ طَالَ طِفْلُ زَعِيرٍ
لَمَّا وَقَعَ فِي بَيْرٍ بِالْكَبَابِيرِ (٢)
❖ ❖
وَبَعْدَ هَذَا بَجْمَعِهِ،
وَالنَّاسُ يَوْمَ الْعِيدِ مَجْتَمِعِهِ
فَجَاءَ أَجَالُو هَادِسِ (٣) وَقَلَّلُو:
«يَا حَيْفَ يَا اللُّوَيْسِيُّ!»
وَأَمَّاكَ بِيَوْمِ الْعِيدِ جُوعَانِهِ
وَتِيَابَهَا خُلُقَانُ بَلِيَانِهِ!
رُوحَ طَعْمِيهَا وَإِكْسِيهَا!
فِرًّا! يَلَا! قَوْمَ عَالِيَامُونَ! (٤)
قَامَ،
وَقَبْلَ مَا تَصُوبُ كَاسَةَ شَايٍ
وَتَحْرُكُو،
وَتَلْفَ سِيجَارِهِ
وَتَسَحَبَ عَلَيْهَا نَفْسَ الْثَانِي
كَانَ صَارَ مُودِي لِأُمُو
طَرَحَهُ مِنْ خَبْزِ الطَّبُونِ (٥)
مِنْ «الدَّمُونِ» (٦) وَصَلَتْ تَهْبِيلُ لِلْيَمُونِ!
وَرَاغَ لِلْخِيَاطِ،
فَصَلَّ لِأَمُوعِ الْخَلِّ شَنْتَهُ (٧)
وَقَبْلَ مَا يَصَلُّو صَلَاةَ الْعِيدِ
وَصَلَّتْ وَهِيَ مَطْوِيَةٌ بِالشَّنْتَةِ (٨)
❖ ❖
وَلَمَّا حُرْمِهِ تَقَعِدَ تَقَاسِي،
وَطَلَّقَهَا يَبْرُدُ
وَالْجِيَابِيَهُ مَعَهَا تَتَعَسَّرُ،
كَانُوا يَقُولُوا: «نَادُوا عَالِيَامُونَ»
يَقْرَأُ وَيَعَزِّمُ.»
❖ ❖
وَاللُّوَيْسِيُّ لَمَّا كَانَ يُحْضِرُ
وَيَطُولُ مَسْبَحَتُو
وَيَقَعِدُ يَتَمَتُّمُ،
طَلَّقَ الْمَرَا يَحْمِي
وَالْجِيَابِيَهُ مَعَهَا تَتَيَسَّرُ،

- ١ - غَمَّارَةٌ: قِطْعَةٌ مِنْ حَبْلٍ بِضُولٍ مَتْرُونٍ تَقْرِيبًا، كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ لِحَزْمِ أَغْصَانِ الْقَمْحِ الْحَصِيدِ أَوْ الشَّعِيرِ.
- ٢ - الْكَبَابِيرُ: قَرْيَةٌ فِي حَيْفَا تَسْكُنُهَا الْجَمَاعَةُ الْأَحْمَدِيَّةُ.
- ٣ - هَادِسٌ: هَاجِسٌ، نِدَاءٌ خَفِيٌّ.
- ٤ - الْيَامُونُ: قَرْيَةٌ إِلَى الْغَرْبِ مِنْ مَدِينَةِ جَنِينَ.
- ٥ - طَرَحَةٌ: أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَرْغَفَةٌ يَتَسَعُّ لَهَا الطَّابُونُ.
- ٦ - الدَّمُونُ: قَرْيَةٌ مِنْ قِضَاءِ عَكَا هُدْمَتْ وَشُرِّدَ أَهْلُهَا عَامَ ٤٨.
- ٧ - شَنْتَهُ: فَسْتَانٌ.
- ٨ - شَنْتَهُ: حَقِيْبَةٌ.

وَبَعْدَ لَحْظِهِ الْحَرَمِ تَتَبَشَّرُ،

مِنَ الدَّايِهِ،

بِالْبَيْتِ أَوْ بِالصَّبِيِّ

قَبْلَ يَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ!

❖ ❖

وَالنَّاسُ قَالُوا:

«فِي بَعْضِ مَرَاتٍ

شَيْخَ اللُّوَيْسِيِّ كَانَ لُو شَطْحَاتُ

وَبِإِذْنِ اللَّهِ كَانَ

يَرْكَبُ بِسَاطِ الرِّيحِ

وَبِكُلِّ فَجْرِ يُطِيرُ عَامِكُهُ

يَتَوَضَّأُ مِنْ زَمْزَمِ،

وَيُصَلِّي فِي الكَعْبَةِ،

وَقَبْلَ مَا يَفْجُ الصَّبَاحُ

وَتَبْلُشُ العَتَمَةُ تَرْيَحُ

يَرْجِعُ عَ حَيْفَا،

وَتَحْتَ مَارِ الْيَاسِ^(١)

بِحَنْبِ صَخْرِهِ يَغْزُ كُوعٌ وَيَسْتَرِيحُ. «^(٢)

❖ ❖

وَوَظَلَ اللُّوَيْسِيُّ عَ هَالرَّشَّةِ سَنَيْنِ^(٣)

وَالْبَعْضُ لَمَّا مَاتَ

قَالُوا:

«الْمَلَائِكَةُ حَمَلَتْهُ،

وَبِمَيِّ مِنْ عَيْنِ الْيَمَامَةِ عَسَلَتْهُ،

وَصَلَّتْ عَلَيْهِ وَدَفَنْتُو،

تَحْتَ صَخْرِهِ عَالِيهِ

بِمِغَارِهِ حَنْبِ الدَّايِهِ،

بِوَادِي فَلَاحِ. «^(٤)

وَهُنَاكَ فِي جَنبِهِ كَانَتْ تُحْرُسُو،

وَتَطْلِي حَجَارَةَ قَبْرِهِ بِالْحِنَا

وَتَقْعُدُ تَوَلَّعَ نَارَ لَطْلُوعِ النَّهَارِ.

وَاللِّي حَبَّوهُ لَوْ يَعْرِفُوا وَيَنْدَفِنُ

كَانَ عَمَلُوا مِنَ الْقَبْرِ قُبُهُ وَمَزَارًا! «

❖ ❖

وَالنَّاسُ عِنَّمَا لَمَّا شَخَّصَ يَمُوتُ

مَعْرُوفٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ،

بِصَيِّرُوا مِنْ بَعْدِ الْعَزَا

كُلُّ شَيْءٍ عِنَّمَا يَنْبَشُوا

وَشُومٌ بَدَهْنٌ يُلْقَشُوا. «^(٥)

وَفِي شَخْصٍ قَالَ بَعْدَ الْعَزَا بِأَسْبُوعِ:

«إِنِّي اللُّوَيْسِيُّ كَانَ

عِنْدَارِ سُرْسُوكِ^(٦) يَشْتَعِلُ تَوَانِ،

وَهُوَ يُطْعِمِي التُّونَ

إِلْشُوكِ وَالْبِلَانِ^(٧)

حَنْبِ الدَّحِيِّ^(٨) مِنْ وَرَاءِ الْعُقُولِ

لِيَلَاتِي كَانَتْ تَرْكَبُو غُولَهُ

وَمِنْ يَوْمِهَا صَابَ الْبَعِيدُ جُنُونًا. «

❖ ❖

وَشَخْصٌ ثَانِي قَالَ:

«إِنِّي اللُّوَيْسِيُّ فِي شَبَابِي

كَانَ طَالِبًا أَزْهَرِي،

وَمِنْ كَثُرَ مَا أَبَوْهُ كَانَ مَسْرَسُبُو^(٩)

خَوْفًا مَا يَجِيبُ الشَّهَادَةَ جَنُونًا،

وَعِيدُو صَفُّو ثَلَاثَ مَرَاتٍ،

وَكَانَ هَذَا الْمَسْكِينِ،

يُظَلُّو قَاعِدًا فِي الدَّرَسِ صَافِنَ حَزِينًا. «

١ - مَارِ الْيَاسِ مَقَامُ الْخَضِرِ فِي حَيْفَا

٢ - يَغْزُ كُوعٌ: كِتَابَةٌ عَنِ الْإِضْطِجَاعِ.

٣ - عَ هَالرَّشَّةِ: عَلَى هَذَا التَّعْلِيلِ.

٤ - وَادِي فَسْلَاحٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جَبَلِ الْكَرْمَلِ،

يَتَّجِدُ إِلَى الْبَحْرِ غَرْبًا

٥ - نَقَشُوا: يَنْحَدَثُونَ.

٦ - سُرْسُوكٌ: عَائِلَةٌ إِقْطَاعِيَّةٌ لِبَنِيَّةٍ كَانَتْ

تَمْتَلِكُ مَعْطَمَ مَرْجِ ابْنِ عَاسِرٍ. بِأَعْتَابِ مَا

تَمْتَلِكُهُ لِلوَكَاةِ الْيَهُودِيَّةِ

٧ - يُطْعِمِي التُّونَ: أَيِ يَطْعَمُهُ الشُّوكَ وَنَبَاتِ

الْبِلَانِ لِيُفِي مَشْتَعَلًا

٨ - الدَّحِيُّ: جَبَلُ الدَّحِيِّ

٩ - مَسْرَسُبُو: مَدَهَبٌ عَقَلُ

وَشَخْصٌ ثَالِثٌ قَالَ :

فِي الْقَهَاوِيِّ يَنْسِبُ بَيْنَ النَّاسِ ،

«إِنُّو اللُّوَيْسِيُّ كَانَ وَحَدَانِي وَثَرِي

وَمِنْ دُونِ أَيَّا مَبَالِغَهُ

وَرِثَ عَنْ إِمَامٍ وَأَبُوهُ تَنَكُّةٌ ذَهَبٌ

كَانَ يَعْرِفُ اطْنَعَشَرَ لُغَةً ،

وَقَبْلَ مَا عَ السَّفَرُ بَرِّ لَكَ يَنْطَلِبُ^(١)

وَاللِّي عَرَفُوهُ حَلْفُوا يَمِينٍ وَعَظْمُوهُ

شَمَّعَ الْخَيْطَ ،

فِي الثُّورَةِ كَانَ لِلْإِنْجِلِيزِ جَاسُوسٌ !^(٥)

وَوَيْنَ دَرَبُو عَا مَصْرَ

❖ ❖

وَهَنَّاكَ عَاشَ بِشَقِّهِ مَفْرُوشَهُ بِقَصْرِ

وَشَخْصٌ سَادِسٌ قَالَ :

وَدَارَ عَاهِزَ الْخَصْرِ

«اللُّوَيْسِيُّ شَوْ جَسُوسٌ ، وَمَش

عِنْدَ فَتْحِيهِ وَبَدَّو عَا^(٢)

جَسُوسٌ ؟ !

مِنْ غِيَابِ الشَّمْسِ لَطَلُّو عَا

وَيَعْرِفُ اطْنَعَشَرَ قَمُوسَ ،

وَوَدَّرَ مَصَارِيهِ عَ الْعَوَالِمِ وَالْقَمَارِ .^(٣)

وَبَحْكِي مِثْلَ الْبَبْعَا اطْنَعَشَرَ لُغَةً ؟

❖ ❖

وَشَخْصٌ رَابِعٌ قَالَ :

اللُّوَيْسِيُّ كَانَ وَاحِدَ طَلْطَمِيْسِ^(٦)

طَبْلَ ،

«اللُّوَيْسِيُّ شَوْ ثَرِي وَشَوْ مَش ثَرِي ؟ !

مَا يَعْرِفُ الْجُمُعَةَ مِنَ الْخَمِيْسِ .

اللُّوَيْسِيُّ كَانَ وَاحِدَ سَرَسْرِي^(٤)

وَالنَّاسُ يَلْبِي بِعَرَفُوهُ بِحَقٍّ وَحَقِيقٌ

دَجَالٌ نُمْرُهُ أَوَّلٌ وَمُحْتَالٌ

قَالُوا عَتَّوْ مَجْرَمٌ وَقَاطِعُ طَرِيقٌ

يَفْتَحُ الْبِخْتَ ، وَيَقْرَأُ فِي الْفَتَجَانِ

شَارِدٌ مِنْ جِبَالِ الْخَلِيلِ

يَكْتُبُ حُجْبٌ مِنْ هَذَا الْكُتُبِ

وَبِرْقَبَتُوْ اطْنَعَشَرَ قَتِيلٌ

يُضْرَبُ وَدَعٌ ، يَعْمَلُ بَدَعٌ

وَأَنْحَكِمُ بِالْإِعْدَامِ لَكُنُوْ

وَعَالِيُوْتِ يَفُوْتِ

اسْتَأْنَفَ خَلْمَسَ مَأْبَدَاتُ

يَضْحَكُ بَفَتْحِ الْقَهْوَةِ عَ النَّسْوَانِ .

وَيَعْدُهَا لَمَّا يَسْجِنُ عَكَا أَنْحِيْسُ

حَسَنٌ سَلُوْكَوْ وَصَارَ صَاحِبَ لِلْحَرَسِ

❖ ❖

وَشَخْصٌ خَامِسٌ قَالَ :

وَيَعْدُ مَدَّةٌ شَيْ سِنِيهِ

«مَجْنُونٌ يَحْكِي وَيَسْمَعُوا الْعُقَالِ

بَرَطْلَ - بَلْبِيْرَةَ ذَهَبَ -

اللُّوَيْسِيُّ هَذَا كَانَ مِنْجُوسٌ

زَابِطٌ إِنْجِلِيزِيٌّ وَهَرَبٌ

غَرِيْبٌ مَشْ مَعْرُوفٌ مِنْ أَيَّا بَلَدٌ ،

بِسِيَّارَةِ جَيْشٍ ،

وَاقِفٌ بِكُلِّ لُحْظَةٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ رَصَدٌ ،

تَا وَصِلَ حُرْفِيْشَ مِنْ أَرْضِ الْجَلِيلِ ،

وَعَا شَكْلَ نَسْنَسَانِ ،

وَتَخَبَّأَ سَبْعَ سَنِيْنَ فِي وَادِي الْحَيْسِ .^(٧)

١ - السفر برئت: كلمة تركية تعني التعبئة العسكرية، وقد دعي إليها أبناء بر الشام في بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤

٢ - فتحيّة: هي المطربة فتحية أحمد، وقد كانت ذات شهرة قبل أم كلثوم، وبدّوعا (تو بدّوع) اسم الدلع للراقصة بديعة مصايب.

٣ - وِدَّرَ صَرَفَ وَذَهَبَ سُدَى مَصَارِيهِ: نقود

٤ - سَرَسْرِي: سراق حرامي

٥ - الثُّورَةُ: القصاصو ثورة ١٩٣٦ في فلسطين.

٦ - طَلْطَمِيْسٍ: مغنق التفكير.

٧ - وَادِي الْحَيْسِ: قرب حرفيش. جنوبيّ النّبي سبلان.

تا العشق زُتو بِحُضْنِ نُورِيهِ
تقولوا عنها : شمسُ مَضُويهِ
لا بتخفى بليلاً ولا بنهاراً!

❖ ❖

وَهالِنُورِيَةِ قَدْ ما فِيها حَلاً
القاضي إِذا بِيشوفها يَعُوف الصَّلا
وَبِتَعرفوا إِنو العِشِقُ
وين صاحبو بيروحُ
مثل العُطْرُ بِيفوحُ!
بُظَهَرَ على العاشقِ وما بِتخفى
ولو لَبَسُوهُ طاقِيَةَ الإِخْفَى. (٣)
ويا جماعَةَ الخِيرِ!

أَحْسَنُ لِفوتُكُو بِالْحَكِي،
لَمَن ما أَهلِ البنتِ دَرِيوا بِالخِبرِ
تَلَمَلَمُوا، وَفاتوا على شِخِ النُّورِ
حَكِيوا حَكايَتَهُنَّ عَن بِنِيَتَهُنَّ
والشِخِ لَمَّا فَكَّرَ تَنجَحَ وقال :
« تَرَى يا الرِّبْعِ شُوفوا
صحَّ العَرَضِ غالي
لكنَّ الرُّوحِ أَغلى،
وَهالشَّبُّ يَمُكِنُ حَبَّ وَاسْتَحلى،
وَمَا دامُ إِنكو مَزعُوجينَ،
وَعاشَرَ فَكُو خايَفينَ،
بشُوفِ إِنكو تَرُوحوا طَوالي
تُرِبَطُوا بِالدرِبِ،
وَتَمِسُكُوا هالشَّبَّ،
وَتَبهدلُوهُ بِالضَرْبِ
بَلْكي بِتَرَبِّي !»

هيكي بِكَسِمِ قَطْرُوزِ،^(١)

عند ناسِ دُرُوزِ،
وَعيلتو عَن جَدِّ
شَبَّعتُ إِنو ماتُ،
واللي يموتُ عَنَّا بِرُوحِ وَبِنَتَسَى
وَمَا بِظَلَّشَ غَيرَ لِأَمُو الأَسَى.
وَلَمَّا طَلَعَ لِلناسِ مَن مَخباهُ
وَشَرَفَ عَ حَيفا ما حَدا تَلقاهُ
وَفاتِ شِكلِ المِستَحِجِ،
مُرهدِلِ بِحالو وَمِلتَحِجِ،
والناسِ قالوا : مَنين هَذا الإِنسانُ؟
كَنو مَقطُوعِ مالو حَدا وَغَلبانُ.
لكنَّ في حُرْمِهِ مَن أَهلِ دُورِ^(٢)
قالَت : حَرامُ يا ناسُ هِيكَ بِتُظَلَمُوهُ،
شُو هَذا الحَكِي يَللي عَليه بِتَحَيِّكُوهُ؟!
والمِثْلُ ما خَلَى إِلا وَقَالَ :
مِنَ أَعْلَمِ بِيكُ غَيرَ رَبِّكَ وَجاركُ؟!
وَانكانُ بِدُكُو لِلصَحِيحِ،
اللويسي كانُ شَبَّ مَلِيحِ
وَإِبْنِ ناسِ مَلاحِ،
لكنَّ الناسِ ما دامُ فِيها عَيُوبُ
عيبِ اللويسي إِنو كانَ بِطالُ
شَغَلِهِ عَمَلِهِ يَفْتَحُ اللهُ،
وَدُومِ دايِرَ عَ النُّورِ،
يِرعى الحَميرِ،
يُوقِدُ النّارِ،
يُنْفُخُ الكُورِ،
يُضْرِبُ على السِّدانِ،

١ - كَسِمِ مَصْرُورِ بِشِكلِ قَطْرُوزِ، أَيِ
حَدِيدِ غَدَا، طَعانَةِ وَكَسِوتِهِ وَجَدِوتِهِ
وَاحِرِ زَميدِ
٢ - دُوراً مُنذَرَةً مَن عَمَلِ مَبيخَةِ المَنيِلِ
٣ - عاقِلَةُ الإِخْفَى طاقِيَةُ سَحرِيَةِ مَن
سَمَّيَتْ نَورَ ناسِ وَهَدَّ نَورِيَهُ

وَبِالْفِعْلِ فَاتُوا عَلَيْهِ سَعَهُ ،
طَعَمُوهُ قَتْلَهُ أَكَلَهُ عَا شَبَعَهُ
وَبَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ ،

اللويسي صابِتو غَصَّهُ ،

ومثل هـ الهبلان

عاش وَقَضَى العُمُرَ عَزَابِي ،

وَحَرَمَ عَ حَالِوِ الجيزه والنِسْوَانِ !

❖ ❖

وَالنَّاسَ صَارُوا مِنْ بَعْدِهَا يَخْرَفُوا

إِنُّو اللويسي فِي بَعْضِ مَرَاتٍ

كَانَتْ تَصِيبُو مِنَ العَشِقِ نَوِيَاتٍ

وَيُصِيرُ هِيكِي يُكزَعُ سَنَانُو ،

وَمِثْلَ الحَمَلِ يُسْرِكُ عَلَي نِيَابُو ،

وَيَعْضُّ عَا إِصْبَعُو تَائِدْمِيهِ

وَمِنْ زُودِ قَهْرُو وَيَشْلُخُ نِيَابُو

وَيُصْرُخُ الصَّوْتِ ،

وَيُرْتَمِي غَمِيَانِ !

وَلَمَّا كَانَ يَفِيقُ

يُصِيرُ يَتَشَهَّفُ^(١) وَيَسْتَغْفِرُ

وَحَالَتُو حَالِهِ ،

وَدَمُوعَ الحَدَّيْنِ سَيَّالِهِ !

❖ ❖

وَمَرَاتٍ فِي الخَلَوَاتِ ،

لَمَّا يَرِقُ اللَّيْلُ ،

كَانَ يُوخِذُ الكَاسَاتِ ،

فِي خِيَمَتُو بَصَفْحَةِ الحَلِيصَا^(٢)

وَيُصِيرُ هِيكِي يَدَقُ وَيُعْنِي :

«أَلله مَا شَافُوهُ لَكِن أَنَا شَفْتُو ،

أَلله مَا عَرَفُوهُ لَكِن أَنَا عَرَفْتُو ،
وَالقَمَرُ يَطْلُعُ وَالشَّمْسُ يَتَغَيَّبُ
كَرْمَالِ عَيْنِي وَعَيْنِي الحَيِّبِ

أَلله يَعيِنُ اللهَ وَالْحَبَّ مَا شَا اللهُ

لَوْ كُنْتُ عَيَّانُ وَاللَّيْلُ غَاشِي

لَا جِيلِكَ حَفِيَانُ وَحَامِلِ فَرَاشِي

لَا جِيلِكَ فِي البَرْدِ مِنْ زُودِ وَلُوعِي

وَاطْفِي فِي الشَّرْدِ نَارِي بَدْمُوعِي

لَا طَرِقَ عَابَابِكَ تَاتَفْتَحِيلِي ،

وَابُوسَ عَتَابِكَ لَوْ تَسْمَحِيلِي

إِن فَوَوْتِيَنِي بَتَزُولِ هُمُومِي

وَإِن كَرْتِيَنِي لِاشْقَ هُدُومِي

وَادُورِ فِي لِبْسَادِ مُرْهَدِلِ بِحَالِي

أَشْحَدُ عَطْفَ النَّاسِ طُولَ اللَّيَالِي !

أَلله مَا شَافُوهُ لَكِن أَنَا شَفْتُو

وَالقَمَرُ يَطْلُعُ وَالشَّمْسُ يَتَغَيَّبُ

كَرْمَالِ عَيْنِي وَعَيْنِي الحَيِّبِ .»

❖ ❖

وَبَعْدَ هَذَا الَّذِي

لَمَّا سَتِي زَلِيخَا قَتَلْتَهَا

إِنُّو اللويسي كَانَ هِيكَ وَهِيكَ

وَالنَّاسَ مَا خَلُّوا وَلَا بَقُّوا

وَكُلُّ شَيْءٍ عَنُو بَعْرَفُوهُ بَقُّوا ،

قَالَتْ :

« يَا عَيْبَ الشُّومِ ،

دَسْتُورِ مِنْ خَاطِرُو ،

سَيِّدِي اللويسي كَانَ شَخِصَ مَبْرُوكِ ،

وَاللِّي حَكُّوَا لَكَ غَيْرَ شِكْلِ غَشُوكِ ،

١ - يتشهنف: يشبهق من البكاء

٢ - الحليصة: اسم حي في حيفا

صحّ اللويسى كان عَ باب الله ،

لكنو زَلَمِه كان يخاف الله ،

ومش مثل - ما بتعرف - زَلَام اليوم !

يا حسرتي قَدَيْش كان حساس

وكان يتألم لو وضع الناس . »

❖ ❖

ولما ستي ع اللويسى تحسرت

خفت فعلاً من كثر ما تأثرت

إتو يوخذها الحال^(١)

قمت وهزيت كتابها ،

وهي مكشّره ، وهيكي تزم شفافها ،

وقلت : « شوفي اللويسى كان رجال . »

قالت : « مثالو في الرجال قلال . »

❖ ❖

وبعد هدوه زغيره قالت لي :

« شوف يا نبّي

بعندي لليوم بتذكر

أول ما جابوا ع البلاد الراديات

سيدي اللويسى كان ،

ع القهاوي يفوت

ويشوف كيف الناس

محبوبين^(٢) مثل الغنم ومترعين

ويدخلونا أرحيله ،

ويشربوا بارد ، وقهوه ، وشاي

ويقعدوا يطقوا حنك ،

ويجادلوا ع الكتف بوقف كم ملك ؟ !

والقهوه مثل المصبعه ،

ومطوبنه ، ومعسقه^(٣) ،

ويحكوا حكايا مشقبعه ،

وطاولات الزهر منصوبه ،

والغير شكل في الكاس مصوبه

والشده طالعه نازله طول النهار

والحرب في العلمين^(٤)

واحنأ بحال البين

والصبايا والشباب متتهين

وين الشمال ؟ وين اليمين ؟ مش

عارفين !

والراديات تدق وتغني : خليها على الله

عالله ! ومشيها ويلا ! ويلاً !

وقدّيش ترطن باللغات ،

وتبخ سم الهاري وتلفق خبار !

سيعتها سيدي اللويسى كان يتور ،

ويشتعل جسمو مثل تنور ،^(٥)

وتفادح عيونو شرار !

وعاشكل مكوك ،

تشوفو رايح جاي في شارع الملوك^(٦)

ويصيح بين الناس :

جوكم خدوكم من بلاد برأ

من البحر والجو

جرأ ،

ويعتر عليكمو الضو ،

وجوه برض وبيض

والخبر مكتوب بالبنت العريض !

وعالجوامع لما كان يفتر ،

يطل راسو من الباب ويصيح :

يا مبنجين ونامين فيقوا !

١ - يوخذها الحال: تصيبها نشوة صوفية.

٢ - محبوبين: منكوبين .

٣ - معسقة: شديدة السواد جراء الدخان.

٤ - العلمين: في صحراء مصر الغربية،

وكانت مسرحاً لمعركة طاحنة بين

الجيوش الألمانية بقيادة «مونتجومري» في

والإنجليزية بقيادة «مونتجومري» في

الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٢. وقد

اندحر فيها الجيش الألماني.

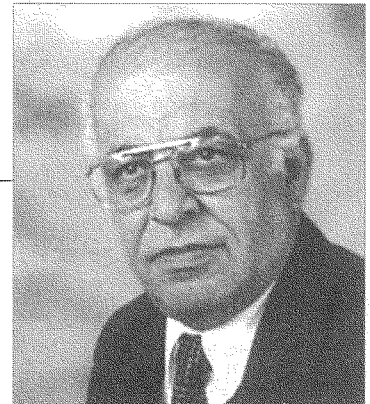
٥ - تنور: حفرة في الشراب أو الصخر،

تحمى بنار الحطب ويخبز فيها.

٦ - شارع الملوك: من أشهر شوارع حيفا.

إضحوا بكفّي نوماً!
من سنّة أنست لحدّ اليوم! (١)
بكرّا بتضيع بلادكو،
ونسوانكو وولادكو،
بكرّا ببصروا ياريد شحادين،
ويتمشوا في الأرض الغريبة حافيين.
❖ ❖
وهون ستي زليخا رفعت صوتها،
ودقت عصاتها بالوطاه (٢) وقالت:
«برجع بقول شو قلت يا بنيي:
الشيخ اللويسي كان شخص مبروك،
واللي حكوا لك غير شكل غشوك،
أي بكفي يا بنيي
إنو بقا مفتح م بين عميان،
يا ريتهن سمعوه ه الطرشان!
الشيخ اللويسي كان يتنبأ،
وما كان عنو شيء يتخبأ،
كان عارف وفهمان،
وكلمتو انحفرت على الصوان:
بكرّا بتضيع بلادكو،
ونسوانكو وولادكو،
بكرّا في إرند بدورروا شحادين
ويتمشوا في الأرض الغريبة حافيين..
يا حسرتي قديش كان حساس
وكان يتألم لوضع الناس
والبشر شهدوا، والحجر يشهد،
شايين حكاها الشيخ اللويسي صار، (٣)
شايين حكاها
الشيخ اللويسي
صار!»

- ١ - من سنّة أنست: أي منذ قديم الزمان.
- ٢ - الوطاه: الأرض.
- ٣ - شايين: كل شيء.



سعود الأسدي (دير الأسد - ١٩٣٨):

يقوم في الناصرة، وقد عمل معلماً للغة العربية في ثانويتها البلدية وله نشاطات ثقافية مختلفة. يجيد القصيدة الموزونة، لكن إصداراته هي بالمحكية إذ أبدع القصيدة الحدائثية العامية الفلسطينية. آخر إصدارات له: دعسة بنت النبي.